

## المدرسة السلوكية

### تقديم " الخلفية التاريخية وأنماط التفكير السلوكي

د. حسين عبدالفتاح الغامدي

#### الخلفية التاريخية

1. مع بدايات القرن التاسع عشر بدأ الاهتمام بدراسة الخبرة الذاتية الواعية للإنسان - Conscious Subjective Experience. على أية حال فالبرغم من تمجيد مناهج البحث العلمي فقد بقي الموضوع اشكاليا حيث فقد استمر استخدام الأساليب الفلسفية المنطقية في دراستها وليس بأساليب البحث العلمي بمعناه الدقيق. الثورة على الفكر السائد مع استقلال علم النفس: مع استقلال علم النفس سادت دراسة العمليات العقلية (الشعور أو اللاشعور) كسبيل لفهم السلوك وهو إلى درجة كبيرة لا ينسجم مع مسلمات البحث العلمي بمعناه الحرفي في العلوم الطبيعية. وهذا ما ظهر في رفضها لفكر المدرسة البنائية (اواسط العقد الاخير من القرن التاسع عشر فكرا (الخبرة الشعورية) ومنهجها (التأمل الباطني). وايضا في رفضها للوظيفية والتي برزت مع منتصف وأواخر العقد الأخير من القرن التاسع عشر كرد فعل للبنائية المتجاهلة من وجهة نظرهم لفاعلية العقل ووظيفيته كما يؤكد الفكر التطوري والتموي. ولتلافي تناولت العديد من الموضوعات بما فيها تلك التي تتناولها البنائيون وغيرهم، مستخدمة في ذلك مناهج تجريبية مؤكدة ميلها أو تأثرها بالفلسفة الحسية (العملية) Empiricism وأيضا تأملية، عاملة على ربط هذه القضايا بشكل وظيفي بحياة الفرد اليومية. ،وباختصار فانه يمكن القول بأنها جأت لتكون بديلا للبنائية المركزة على البحث عن (ما؟ What) في حين كانت متجهة للإجابة عن تساولين هما (كيف ولماذا؟ - How and Why?). وهذا ايضا ما انطبق على رفضها للجشالت المركزة على التفكير والاستبصار. وإذا كانت السلوكية ترفض المدارس المركزة على الوعي فان دراسة الجانب غير الواعي من الشخصية أولى بالرفض ولذا فقد كان رفضها للتحليلة اكبر وذلك موضوعا ومنهجيا.
2. لا شك في إن الحركات الفلسفية في عصر النهضة وما تلاه قد أثرت في كثير من المدارس والنظريات النفسية في بدايات الاستقلال على وجه الخصوص، وفي هذا السياق فانه لا يمكن إنكار

الأثر الايجابي لتطور الفلسفة الاتجاه الوضعي التجريبي Empiricism (والذي مثله أعلام مثل لوك Locke و بيركلي Berkely و هيوم Hume و جيمس ميل James Mill و جون استيوارت ميل John S. Mill وغيرهم) والمؤكد لأهمية الخبرات الحسية والارتباط بينها كأساس للنشاط العقلي والسلوك أثره على بعض الاتجاهات النفسية ومنها السلوكية. إلا إن ذلك كان بمنهج جديد يعتمد على ملاحظة السلوك الظاهري.

3. كما لاشك في ان لحركة logical positivism والمؤكد على ان تفسير أي جملة في العلم يجب ان تعتمد على المنهج التجريبي والملاحظات المؤكدة للحقيقة، وعلية فان العمليات العقلية يجب الا تستخدم او ان تحدد بشكل سلوكي اجرائي.

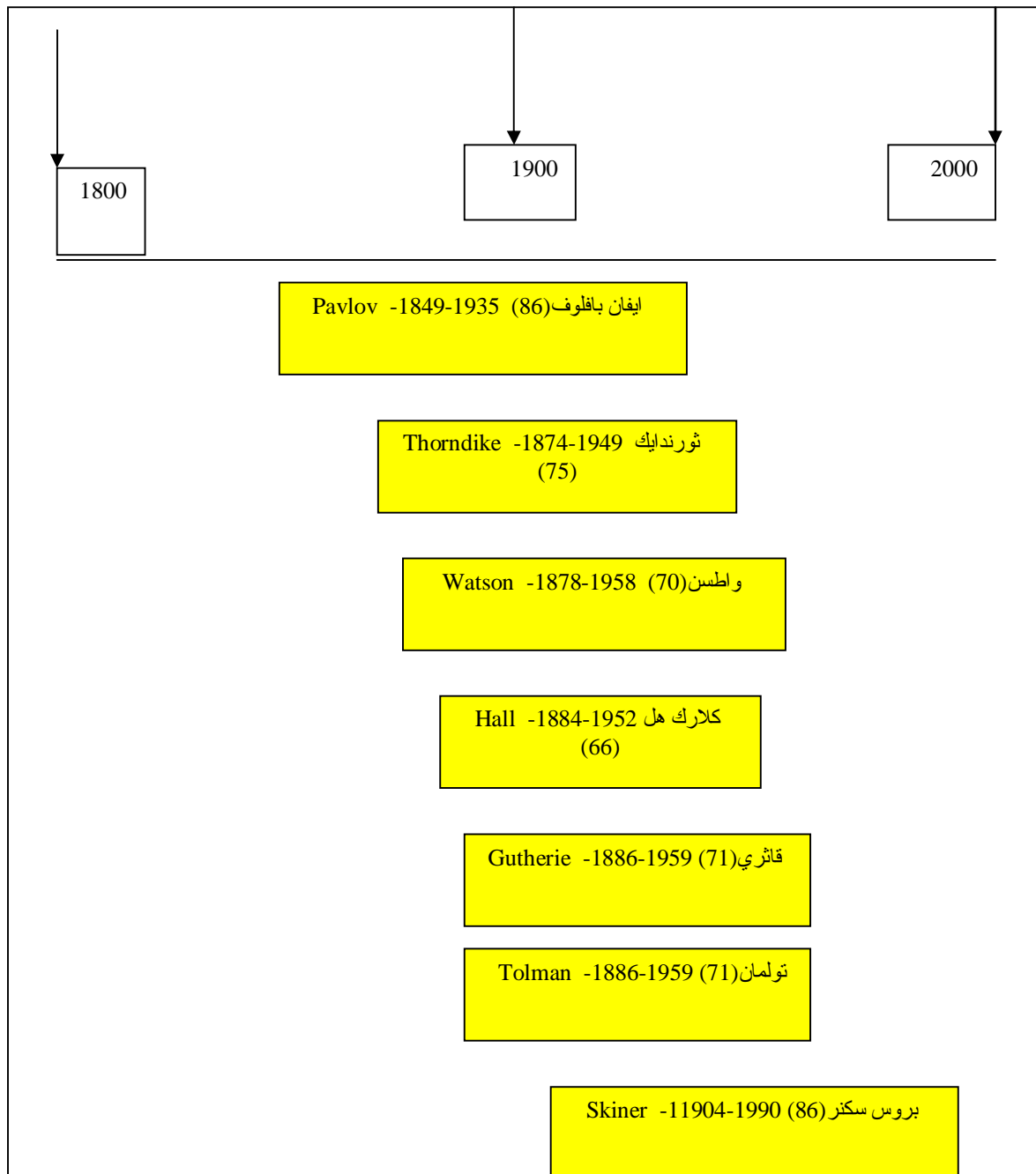
4. اضافة الى ما سبق فقد اثرت نظرية التطور في كثير من النظريات النفسية، ولقد كان اثرها واضحا على غالبية السلوكيين، من حيث تأكيدها على مبدأ الاستمرارية بين الكائنات، والطبيعة التكيفية لمبدأ التطور.

5. أيضا فقد اهتم العلماء بدراسة فسيولوجية فسيولوجية الجهاز العصبي والحسي، ولذا ظهر ما عرف بالفيزياء النفسية. إلا أن ذلك تم في ظل علم الفسيولوجي.

6. في هذه الفترة ظهر ما يعرف بعلم النفس الحيواني المقارن. هذا الاتجاه يرجع إلى أواخر القرن التاسع عشر في فترة ما بعد دارون ، حيث اتجه البحث باستخدام مناهج البحث العلمي نحو محاولة كشف مصداقية استمرارية النمو العقلي عبر الكائنات وإذا كان تطوريا. حيث ركزوا على دراسة الاستجابات الطبيعية للحيوانات وتغيرها أثناء الحياة. والطرق المتعلمة لتغيير أو تطوير الاستجابات أمام المشكلات المختلفة. وهذا يعني بدء الاهتمام بتحليل الظروف المحدثة للتعلم، وأيضا بالاعتقاد التطوري أو الاستمرارية بين الكائنات مما سيعني امكانات الاستفادة من النتائج على الحيوان. إضافة إلى تزويدنا بأساليب بحثية تعتمد الملاحظة والتجريب وتحليل البيانات بأسلوب يمكن من قياس السلوك. وعلى سبيل المثال يؤكد (Wozniok 1997) بان مثل هذه الدراسات بدأت مبكرة خلال الربع الاخير من القرن الثامن عشر. ومن ذلك دراسات كل من Spalding و Darwin و Lubbock و Baldwin و Thorndike . كما لا يمكن اغفال التأثير المباشر لباحث بافلوف. اضافة الى هذا الاهتمام من علماء الحيوان بمناهج البحث فان الغالبية منهم نهجوا نهجا تطوريا وظيفيا معتقدين بوظيفية السلوك وسعي الكائن من خلاله للتكيف، وايضا بالعلاقة التطورية بين الكائنات. ولقد مهد إيمان عدد من علماء النفس الحيواني بالفكر الوظيفي إلى ظهور بداية جديدة لعلم النفس في أمريكا حيث ساهم علم النفس الحيواني بتقديم أساليب البحث والدراسة والقياس . في حين ساعد الوظيفيون بتوجيه الابحاث توجيهها عمليا وظيفيا يركز على الاهتمامات المجتمعية ومساعدة الأفراد على التكيف. هذا مهد للثورة السلوكية في أمريكا.

7. اشرنا فيما سبق الى أهمية ابحاث علماء النفس المهتمين بدراسة السلوك الحيواني، وايضا أبحاث الفسيولوجيا . بل ولعلها اهم الاساسات للسلوكية الراديكالية بنمذجيها المختلفين (الاشتراط الكلاسيكي والاشتراط الاجرائي)، حيث تمثل أبحاث بافلوف الفسيولوجية في روسيا والتي قادت الى سايكولوجية الاشتراط، وأيضا أبحاث ثورندايك رائد مدرسة كولمبيا الوظيفية على الحيوانات ونظريته في التعلم بالمحاولة والخطاء أهم الاساسات للسلوكية الراديكالية.

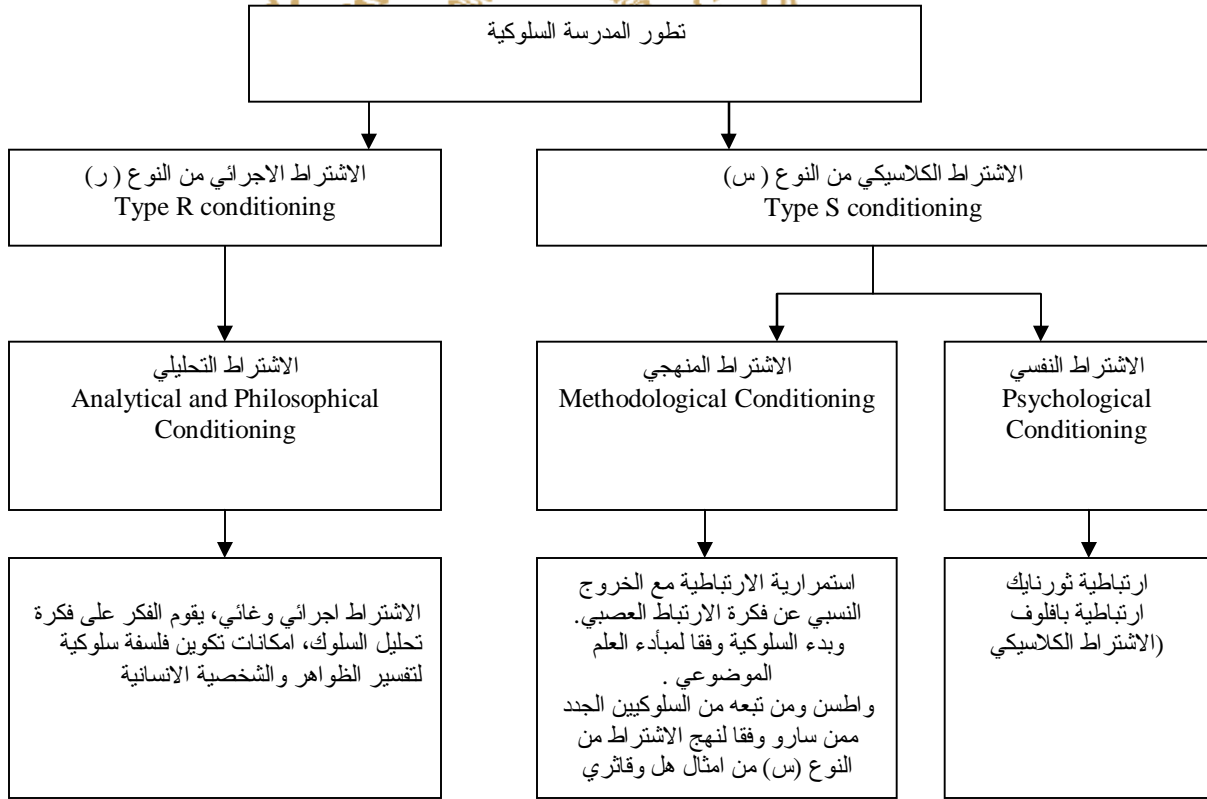
#### التسلسل التاريخي للفكر السلوكي



## انماط الفكر السلوكي كمؤشر على التطور النظري للمدرسة السلوكية

1. يقسم المؤرخون السلوكية الى انماط مختلفة منها تقسيمها وفقا لطبيعة الاشتراط الى:
  - أ. الاشتراط الكلاسيكي Type (S) conditioning: يمكن تصنيف كل من الارتباطيين من علماء الحيوان ومنهم بافلوف وثورندايك اضافة الى السلوكيين الاوائل وتحديدًا واطسن ومن تبعه من المجددين الذين لم يضيفوا الكثير من امثال قاتري وهل وتولمان الى هذا الجانب . ويحدث الارتباط اجمالا نتيجة الارتباط بين المثيرات والمؤدية الى استجابات ما يتم اكتسابها بالتعزيز. ( مثير شرطي + مثير طبيعي - بالتكرار --- استجابة شرطية).
  - ب. الاشتراط الاجرائي Type (R) conditioning: يمثل سكرز ومن تبعه من اتباع السلوكية هذا التوجه. ويعتمد الاشتراط فيه على اقتران الاستجابات بالمعززات وذلك بصرف النظر عن المثير او ارتباط المثيرات ببعضها.
2. كما يمكن تقسيم تطور السلوكية طبعا لطبيعة دراسة وتفسير الاشتراط ومناهج البحث والتعميمات النظرية الى ثلاثة انماط غالبية لا مطلقة ذلك ان المسلمات الاساسية للسلوك الملاحظ كنتاج للاشتراط، وضرورة الدراسة العلمية له تكاد تكون عامة، وربما عبر التقسيم عن الصبغة الغالبة لكل مرحلة اكثر من كيدته على الاختلاف. وتشمل الانماط التالية:
  - لسلوكية النفسية Psychological Behaviorism: والتي عمدت الى محاولة تفسير السلوك من خلال ربطة بالمثيرات الخارجية ويصنف كل من بافلوف وثورندايك تحت هذا النوع.
  - السلوكية المنهجية Methodological Behaviorism: وتعنى بالعلم نفسه ويمثلها واطسن المؤسس لعلم السلوك، والمحدد لمسلمات العلم حيث نادى بالتركيز على دراسة السلوك الظاهري باساليب البحث العلمي وبالاتماد على مسلماته الاساسية المتمثلة في (العلمية، التطورية، الاختزال..).
  - السلوكية التحليلية الفلسفية Philosophical Analytic Behaviorism: وتعرف ايضا بالفلسفية وايضا بتحليل السلوك، وترجع الى سكرز، حيث بدأ محاولته لاجراج العلم من واطسنيته، حل ازمة العمليات العقلية بالمناداة بان أي نشاط عقلي يمكن تفسيره من خلال النشاط الظاهر المرتبط به. أي انه يمكن تحديده سلوكيا. فعندما نصف حالة الفرد العقلية او اعتقاده فانما نصف يا يظهر عليه او ما نتوقع ان يفعله من سلوك في الموقف.

3. يمكن دمج التقسيمين السابقين في الشكل التالي:



4. ويرصد بعض المدافعين عن السلوكية تقسيما اخر مؤكدين بذلك تنوع الفكر السلوكي. حيث يرى --

---- بان السلوكية وصلت الى درجة من النظر مع بدء الثلاثينيات من القرن التاسع عشر. ولم

يقتصر الامر عند ما قدمه الرواد من امثال واطسن وسكنر بل شمل غيرهم. ويذكر التقسيم التالي:

- السلوكية الراديكالية ممثلة في فكر واطسن وسكنر بدرجة اساسية.

- السلوكية البايو - اجتماعية:

- علم النفس رد الفعل Reaction Psychology:

- السلوكية الفسيولوجية:

- السلوكية الاجتماعية:

- الانتقائية: